

هذا يعني أن المثل يتسم بصيغة الأمر. المثل يتضمن بصفة صريحة أو ضمنية دعوة إلى فعل، إلى سلوك. ومن لم يتبع علمه بالعمل المطابق يكون متلقياً قاصراً. من هنا يمكن استخلاص صور ثلاث للقارئ يرسمها كتاب كليلة ودمنة. هناك أولاً القارئ السخيف الذي يتوقف عند السرد، عند «الهزل» و«اللهو»، أي عند الأحداث السردية في حد ذاتها. وهناك ثانياً القارئ الفطن الذي يتجاوز مرحلة السرد ويهتدي إلى الحكمة، ولكنه يتوقف عند هذا الشوط. وهناك ثالثاً القارئ العاقل الذي يستوعب الحكمة ويخضع سلوكه لأوامرها ونواهيها. المثل يتكون إذن من ثلاثة مستويات، ولكل مستوى قارئ معين. القارئ المثالي هو طبعاً القارئ الثالث الذي ينتقل من السرد إلى الحكمة ثم من الحكمة إلى العمل. ومن لم يتشبه بهذا القارئ لا يعد، في نظر بيدبا وابن المقفع، جيداً أن يقرأ.⁽⁹⁾

السرد قد يكشف الحكمة كما قد يخفيها، بل لعله يخفيها أكثر مما يكشفها. فمن قال إن الحكيم يريد حقاً أن يعرض بصفة جليلة ما يروج في ذهنه وما يسعى إليه من أغراض؟

قبل أن أتطرق إلى هذه النقطة، أود أن أبرز بعض الصور الواردة في الكتاب، والتي تحيل إلى التعارض بين الظاهر والباطن. الكنفز،⁽¹⁰⁾ مثلاً، يوجد عادة مدفوناً تحت الأرض أو تحت مياه البحار. من الصعب تصور كنز غير مستتر.

(9) في نهاية مقدمته يصنف ابن المقفع القراء تصنيفاً مختلفاً شيئاً ما، فيذكر على التوالي: أهل الهزل، الملوك، المصور والناسخ، الفيلسوف: «وينبغي للتأويل في هذا الكتاب ومقتنيه أن يعلم أنه ينقسم إلى أربعة أقسام وأغراض: أحدها ما قصده من وضعه على السنن البهائم غير الناطقة ليتسارع إلى قراءته واقتنائه أهل الهزل من الشبان فيستميل به قلوبهم لأن هذا هو الغرض بالنوادير من الحيوانات. والثاني إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الألوان والأصباغ ليكون أنسا لقلوب الملوك ويكون حرضهم أشد للنزهة في تلك الصور. والثالث أن يكون على هذه الصفة فيتحذه الملوك والسوقة فيكثر بذلك اتساعه ولا يبطل فيخلق على مرور الأيام بل ينتفع بذلك المصور والناسخ أبداً. والغرض الرابع وهو الأسمى وذلك يخص الفيلسوف خاصة أهني الوقوف على أسرار معاني الكتاب الباطنة» (ابن المقفع، ص. 59).

(10) ابن المقفع، ص. 52.